

أَيُّهَا الْمُرْتَلُونَ...

الأب نقولا مالك

إِنَّهُ لَحَسَنٌ أَنْ يَشْعُرَ الْإِنْسَانُ بِرَغْبَةٍ فِي تَجِيدِ اللَّهِ بِالْحَنَاجِرِ الَّتِي خَلَقَهَا. فَإِذَا اسْتَهَيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مُرْتَلِينَ، فَنِعْمَ الشَّهْوَةُ. لَكِنْ تَذَكَّرُوا أَنَّ التَّرْتِيلَ وَرَنَةً تَجْعَلُكُمْ خُدَّامًا لَا أَسْيَادًا، غَسَلَةَ أَرْجُلٍ لَا أُنْيَةَ لِمَجْدٍ بَاطِلٍ. فَمَتَى رَتَلْتُمْ، قُولُوا إِنَّا عَبِيدُ بَطْلُونٍ، لِأَنَّا عَمَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا (لو ١٧: ١٠).

أَيُّهَا الْمُرْتَلُونَ... لَا تَسَارِعُوا لِافْتِحَامِ مَنَابِرِ التَّرْتِيلِ (الْقَرَايَاتِ)، وَكَأَنَّكُمْ تَتَلَهَّفُونَ لِاغْتِصَابِ مَنْصِبٍ مَا، خَشْيَةً أَنْ يَسْبِقَكُمْ آخَرٌ إِلَيْهِ، بَلْ إِذَا وَجِدَ مَنْ يَقُومُ بِهَذِهِ الْخِدْمَةِ، دُونَ حَاجَةٍ إِلَيْكُمْ، فَفَقُّوا جَانِبًا، وَاعْتَمِئُوهَا فُرْصَةً لِلصَّلَاةِ بِتَرْكِيزٍ أَكْبَرَ.

أَيُّهَا الْمُرْتَلُونَ... لَا تَحْبُبُوا وَرَنَاتِكُمْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَلَا تُضْرِبُوا عَنِ التَّرْتِيلِ بِدَاعِي الْعُجْبِ وَالْأَنَفَةِ -فَمَلْعُونَةُ النَّيْنَةِ الْكَثِيرَةِ الْأُورَاقِ وَالْعَدِيمَةِ الثَّمَرِ- بَلْ رَتِّلُوا مَتَى دَعَتِ الْحَاجَةُ، أَوْ مَتَى طُلِبَ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ وَكُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ. وَتَقَدَّمُوا مِنَ الْمَنْبَرِ بِرُوحِ الْخِدْمَةِ وَالْوَدَاعَةِ، وَنَسَقُوا مَعَ مَنْ يَكُونُ هُنَاكَ بِلِيَاقَةٍ وَتَرْتِيبٍ، وَبِرُوحِ الْغَيْرَةِ عَلَى جَمَالِ الْخِدْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَلَا تَكُونُوا طَالِبِينَ رِئَاسَةٍ -فَمَا هَكَذَا عَلَّمَنَا الرَّبُّ- لَكِنْ إِذَا وَجِدَ أَحَدُكُمْ مَسْئُولًا عَنْ مَجْمُوعَةِ مُرْتَلِينَ، فَلْيَكُنْ مِثَالًا لَهُمْ بِالرِّصَانَةِ وَالْخُشُوعِ وَاحْتِرَامِ أَجْوَاءِ الصَّلَاةِ. وَلَا تَنْتَظِرُوا مَدْحًا وَإِطْرَاءً مِنَ النَّاسِ، بَلْ قَدِّمُوا أَصَوَاتَكُمْ قَرَابِينَ تَشْفَعُ بِكُمْ أَمَامَ عَرْشِ الْحَمَلِ.

أَيُّهَا الْمُرْتَلُونَ... إِنَّ التَّرْتِيلَ فَنٌّ لَهُ أَصُولُهُ، وَأَنْتُمْ تُمَارِسُونَ هَذَا الْفَنَّ. لَكِنْ تَذَكَّرُوا أَنَّ التَّرْتِيلَ صَلَاةٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَنًّا، وَتَوْبَةٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ جَمَالًا. وَتَذَكَّرُوا أَنَّ الْغَايَةَ مِنَ الْإِبَاسِ الْكَلِمَةُ ثَوْبَ النِّعَمِ هِيَ أَنْ تُرْفَعَ الْقُلُوبُ خُشُوعًا، وَأَنْ تَزْهَرَ الشِّفَاءُ تَسَابِيحٍ. فَيَجْدُرُ بِكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَنْفُسَكُمْ: هَلْ نَحْنُ فِي الْكَنِيسَةِ مُرْتَلُونَ أَمْ مُطْرَبُونَ؟! هَلْ نُرْتِّلُ لِنُصَلِّيَ وَنُسَاعِدَ النَّاسَ عَلَى الصَّلَاةِ، أَمْ نَتَّخِذُ التَّرْتِيلَ "فَنًّا" مَحْضًا؟!

أَيُّهَا الْمُرْتَلُونَ... انْتَبِهُوا، لِئَلَّا تَخْرُجُوا بِفَنِّ التَّرْتِيلِ عَنِ الْجَادَّةِ الصَّحِيحَةِ؛ وَتَذَكَّرُوا أَنَّكُمْ دَائِمًا بِحَاجَةٍ إِلَى السَّهْرِ الرُّوحِيِّ، وَبِحَاجَةٍ إِلَى كَمٍّ كَبِيرٍ مِنَ التَّوَاضُّعِ، وَإِلَّا فَالْجَنُوحُ سَهْلٌ. انْتَبِهُوا، لِئَلَّا تَحَرِّفُوا بِالتَّرْتِيلِ عَنْ هَدْفِهِ السَّامِيِّ، فَيُصْبِحَ تَجِيدًا لِلذَّاتِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ تَسْبِيحًا لِلَّهِ. فَإِذَا كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الْمَجْدِ الْبَاطِلِ، لَا تَتَّخِذْ كَنِيسَةَ اللَّهِ مَسْرَحًا لَكَ، "لِأَنَّ الْوُقُوعَ فِي يَدَيِ اللَّهِ الْحَيِّ أَمْرٌ هَائِلٌ" (عب ٣١: ١٠).